السعادة

قال الله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}

قال الشنقيطي في تفسيره : " إنَّ الْمُرَادَ بِالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ فِي الْآيَةِ: "حَيَاتُهُ فِي الدُّنْيَا".

وروى الطبري عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: {فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}

قال -رضي الله عنه-: "السعادة".

قال إبراهيم بن أدهم التابعي لبعض أصحابه يوماً: "لو عَلِمَ المُلُوكُ وأَبناءُ الملوك ما نحن فيه -أي من السعادة- لجالدونا عليه بالسيوف".

والسعادة توفيق من الله تعالى، ونبع السعادة من قلب الإنسان، والقلب الكريم يفور من باطنه طيب السعادة لتملأ حياته بهجة ورفعة وفرحا، وليس لأحد كائنا من كان خَلْق السعادة في قلبك، فسعادتك أنت سببها بعد توفيق الله لك، والسعادة هي حلاوة الإيمان التي تجعل للحياة معنى ولذة، ومكمن السعادة والحياة الطيبة في قلب الإنسان: القناعة، وخُلُق القناعة يبعد المؤمن من النظر لمن فوقه من الناس.

قال ﷺ: "وَلا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوقَكُم" فقد كتب الله تعالى وقضى قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة أن يكون الناس درجات: {وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا} فمن الناس من هو فوقك، ومن الناس من هو أسفل منك، وليس لأحد أن يتمنى ما فضل الله به غيره عليه، قال تعالى: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} قال ابن عباس - رضي الله عنه - : "ولا يتمنى الرجل فيقول: "ليت لو أن لي مال فلان وأهله!" فنهى الله عن ذلك، ولكن يسأل الله من فضله".،

و قال ابن كثير : "وكذا قال محمد بن سيرين والحسن والضحاك وعطاء نحو ذلك وهو الظاهر من الآية"، والمؤمن مؤمن بالقدر خيره وشره، قنوع، وراض، ومكتف بحق، ولذلك تجده عفيف النفس منشرح الصدر طَلِق الوجه سهلاً ليناً،

قال عبدالله بن الحارث -رضي الله عنه-: "ما رأيتُ أحدًا أكثرَ تبسُّمًا من رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم".

قال الحسن البصريّ: "الحياة الطيبة: القناعة"

قال بعض السلف: "الحياة الطيبة: هي الرضا والقناعة".

والقناعة والرضا بما أعطاك الله وقدر لك من قدر، سيُبعد الإنسان المؤمن -بتوفيق الله له- عن الهوى والحسد وسوء الظن والكبر، والقناعة ستصرف الإنسان عن الاستكثار من بحر التمني الذي لا ساحل له، فمن قنع كان غنيًّا سعيدًا طيباً وإن كان مقترًا، ومن لم يقنع كان فقيراً عبوساً ضيق الصدر حرجاً وإن كان مكثرًا .

الحياة السعيدة الطيبة جنة الدنيا، ومن فضل الله تعالى لن تنقص سعادة المسلم في الدنيا من أجر الآخرة.

قال ابن تيمية: "إنَّ في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة".

وقال ابن تيمية: "المحبوس من حُبِس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه".

قال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية -رحمهم الله تعالى-: "ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسرَّهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف؛ وساءت منا الظنون؛ وضاقت بنا الأرض؛ أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحاً، وقوة، ويقيناً، وطمأنينة".

قال ﷺ: "مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حَزَنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُها إلاَّ كفَّر اللَّه بهَا مِنْ خطَايَاه".

كتبه الشيخ محمد عثمان العنجري

بتاريخ 22 جمادى الأولى 1443 الموافق 26 ديسمبر 2021